## المبحث الثاني

# الفكر السياسي الروماني

## الحضارة الرومانية:

### لمحة تاريخية:

ظهرت روما في بداية عهدها كدولة مدينة مكونة من عدة قبائل تسكن التلال المحيطة بها وكانت لها حكومة ملكية ولها مجلس شيوخ استشاري وجمعية عامة مكلفة باختيار الملك. وهي بذلك كانت تشبه نظام دولة المدينة القائم في المدن اليونانية.

وقد كانت السلطة في بداية حياة روما تتمركز في يد أقلية مختارة من الاسر الارستقراطية، وبقي الوضع هكذا الى أن قامت الجمهورية سنة ٥٠٠ ق. م. وطرد آخر ملك من روما نتيجة الصراع بين الطبقات الارستقراطية والعامة من الشعب.

وبعد استتباب الامن للجمهورية في داخل روما اخذت في التوسع لتقيم امبراطورية واسعة تعتمد على الحكم الديكتاتوري.

ومع تزايد الولايات والشعوب التي تتكون منها الامبراطورية واتساعها. كان لا بد من ارساء قواعد النظام القانوني الذي يساعد في ادارة هذه الامبراطورية فظهر «قانون الشعوب» الذي استمد قواعده من المبادىء العامة والمثل القانونية السائدة، وبموجب هذا القانون اعطي سكان الولايات التي تخضع للامراطورية صفة المواطنين وفي ظل هذه الاوضاع ظهرت الفلسفة الرواقية في محاولة لمعاجلة الوضع القائم.

## ١ ــ الفلسفة الرواقية*:

تأسست المدرسة الرواقية سنة ٣٠٠ ق.م. ومؤسسها زينون من اهالي فينيقيا وقد عاش لفترة في اثينا ثم رحل الى روما حيث تبلورت فلسفته.

تنظر الفلسفة الرواقية الى ان كل الاشياء هي في الاصل اجزاء من نسق واحد تطلق عليه «الطبيعة» وان الفضيلة ارادة تنسجم مع الطبيعة وهي الخير الاوحد في حياة الانسان، وتهتم هذه الفلسفة بالقوى العقلية، وتعتبرها اشرف صفات البشر، وتعتبر العقل صانع القوانين ومنظم الدولة. وتنظر الفلسفة الرواقية الى العالم كله كمدينة واحدة، وتبشر بالمواطن العالمي، وتنادي بالقانون الطبيعي، وقد غلب الطابع العملي والقانوني على اهتمامات هذه الفلسفة.

وقد قدمت هذه الفلسفة فكرة الدولة العالمية باعتبارها الدولة المثالية التي يتساوى فيها جميع الناس ولهم حقوق المواطنة، وأن التمييز فيها لن يكون الا على أساس العمل الصالح، ولهذا فهي تدعو الى الشعور بالانسانية وتطالب بالغاء الرق، كما تدعو الى المساواة بين الرجل والمرأة وتدعو الى طهارة الاسرة والاحسان للآخرين.

## ٢ ــ شيشرون:

### حياته:

ولد سنة ١٠٦ قبل الميلاد وعاش حتى سنة ٤٣ ق. م. وقد تميزت تلك الفترة بالصراع الدائر بين طبقة النبلاء والاغنياء من جهة ممثلين في مجلس الشيوخ، وطبقة عامة الشعب من جهة اخرى معبر عنها بالجمعيات العامة، وتبلور هذا

---

* ترجع تسمية هذه الفلسفة الى الرواق اي الدهليز او الممر الذي كان مكانا لالقاء المحاضرات والدروس من رواد هذه المدرسة في اثينا.
انظر لمزيد من التفاصيل بخصوص هذه الفلسفة سباين مرجع سبق ذكره ص ٢٢٥.

الصراع فيما بعد الى صراع بين النظام الجمهوري والنظام الارستقراطي بقيادة يوليوس قيصر.

درس شيشرون القانون في روما، والفلسفة في اليونان، وتولى عدة مناصب في الدولة، وقد نهج شيشرون منهج افلاطون في كتاباته، واستعمل اسماء كتب افلاطون لكتبه، ولجأ في كثير من الحالات الى طريقة الحوار في عرض افكاره.

## رأيه في المجتمع:

آمن شيشرون بالمساواة بين الناس بالاستناد الى «قانون الطبيعة»، وان الناس يتماثلون في النوع و يتميزون بتمتعهم بنعمة العقل الذي يرفعهم عن بقية الحيوانات، هذا وقد قلل شيشرون من أهمية عوامل الوراثة والغنى والاوضاع الاجتماعية في تقييم الافراد[1].

## الدولة والحكومة:

تنشأ الدولة في رأي شيشرون نتيجة غريزة الانسان الطبيعية، وشبه الدولة بالمؤسسة المساهمة والعضوية فيها ملك عام لجميع مواطنيها، و يعرف الدولة بانها جماعة معنوية «أي مجموعة من الاشخاص يمتلكون الدولة وقانونها بالمشاع فيما بينهم»، وأن الدولة هي مصلحة الناس المشتركة وتقوم من اجل تقديم المساعدة المتبادلة والحكم العادل لأعضائها، وقد ميز شيشرون بين الدولة والحكومة وقال بأن مهمة الحكومة تمثيل الشعب في القيام بنشاطاته العامة، وقد قسم شيشرون الحكومات الى ملكية وارستقراطية وفضل نظام الحكم المختلط الذي يجمع بين محاسن الملكية والارستقراطية والديمقراطية، ونادى بالدستور المختلط لتحقيق ذلك. كما له نظرية أخرى حول «التغيير الدوري للدساتير» لضمان ملائمتها للحياة المتجددة[2].

## فكرة القانون الطبيعي عند شيشرون:

يرجع الفضل الى شيشرون في تفسير فلسفة الرواقيين عن القانون الطبيعي

---

1- Sibley, Mulford Q., Op. Cit, P. 128.

٢- سباين، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٨.

وتقوم فكرة القانون الطبيعي على الاعتراف بوجود قانون عام للطبيعة، وأن على الأشياء الطبيعية أن تتوافق معه. و ينبثق هذا القانون عن الحكمة الالهية للعالم ومن الطبيعة العقلية والاجتماعية للبشر[٣].

وأن هذا القانون يمثل دستورا موحدا للعالم لا يتغير ولا يتبدل، لأنه قانون حق وقائم على البداهة والتفكير السليم، ولهذا فهو يماشي الطبيعة و ينطبق على كل الناس في كل الأوقات ولا يجوز تعطيل احكامه بتشريعات من صنع البشر. كما ان هذا القانون من الوضوح والبساطة مما يجعله لا يحتاج الى مفسرين وفقهاء لتوضيحه، وأن الله وضع هذا القانون وهو الذي يحافظ عليه و يفسره. وأن الذي يعصي هذا القانون سيفقد خير ما في نفسه لأنه ينكر خير ما في الانسان من الطبيعة الحقة، ولذلك فانه سيعاني شر العقوبات حتى ولو استطاع النجاة من عقاب التشريعات الوضعية[٤].

وقد توصل شيشرون من هذه النظرية الى ضرورة المساواة بين الناس واعتبر عدم المساواة نتيجة لسوء العادات وزيف المجتمع.

## سينكا :

ولد سنة ٤ ق.م. وشاهد الامبراطورية الرومانية وهي في حالة انهيار وفساد اجتماعي وسياسي[٥] وقد اتسمت فلسفته بالتشاؤم واليأس في نظرته للحياة الاجتماعية والسياسية وذلك بتأثير الظروف الاجتماعية والسياسية السيئة التي عاشها.

### نظرته للدولة:

كان تصور سينيكا للعالم الاكبر اقرب الى المجتمع منه الى الدولة وان

---

3- Sibley, Mulford Q., Op. Cit., p. 128-129.

٤- سباين، مرجع سبق ذكره ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

5 - Sibley, Mulford Q. Op. Cit., p. 130

الاواصر التي تسود هذا العالم هي في الحقيقة معنوية ودينية قبل أن تكون قانونية وسياسية، وقد انطوت فلسفة سينيكا على عقيدة دينية اصيلة تدعو الى الابتعاد عن شؤون الدنيا والسياسة واللجوء الى التأملات الروحية بعيدا عن شرور الجسد وآثامه[٦]. والرجل الحكيم في رأيه هو الذي يؤدي خدمات للانسانية جمعاء بالرغم من أنه لا يملك سلطة سياسية.

وحاول سينيكا تمجيد «العصر الذهبي» للانسانية الذي اعتبره سابقا لوجود الحضارة والمدنية، ورفض سينيكا تمجيد الدولة واعتبارها المركز الاسمى للكمال المعنوي[٧].

## نظرته للحكم:

اصطبغت فلسفة سينيكا ونظرته للحكم بالصبغة التشاؤمية، ووصل به الحد الى الدعوة الى تأييد الحكم المطلق الذي اعتبره افضل من حكم الجماهير، لان هذه الجماهير تتصف بالفساد والشرور وسيكون حكمها اقسى من الحكم المطلق، ويرى بأن المجتمع وصل مرحلة من الفساد والقسوة لم يعد التساؤل يدور حول احقية الحكم، وانما اصبح يدور حول من يكون الطاغية. ولهذا يطالب الناس بالابتعاد عن الحياة السياسية لانها تفسد الانسان الصالح وتقضي على الخير في نفسه، ويطالبه القيام بالوظائف التي تؤدي خدمات اجتماعية غير مرتبطة بالسلطة.

## خصائص الفكر الروماني*:

١- امتاز الفكر الروماني بالنزعة العملية ولم يهتم بالتأصيل النظري للظواهر السياسية، حيث اهتمت الحضارة الرومانية بالتطبيق الواقعي لظاهرة السلطة المركزية الموحدة وقدمت الحضارة الرومانية الجانب التنظيمي والخبرة العملية

---

٦- علي عبد المعطي، مرجع سبق ذكره، ص. ١٠٣.

٧- سباين مرجع سبق ذكره، ص. ٢٦.

* لمزيد من التفاصيل عن خصائص الفكر الروماني انظر:
حامد ربيع، النظرية السياسية، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٨ - ١٥٣

المبنية على المشاهدة والتجربة المدعمة بالوثائق والمعلومات التاريخية لظاهرة السلطة تلك الخبرة التي افتقدتها الحضارات الاخرى.

ومن هنا يكون الفكر السياسي الروماني قد جاء ليكمل مواطن الضعف في الفكر السياسي اليوناني الذي اهتم بالجانب الفكري والنظري لظاهرة السلطة على حساب الجانب التطبيقي.
اهتم الفكر السياسي الروماني بالتحليل القانوني لظاهرة السلطة وقدمت الحضارة الرومانية مجموعة من القواعد والمفاهيم العامة التي صيغ حولها اطارات نظامية فيما بعد.

والمثال الواضح في هذا المجال فكرة القانون الطبيعي التي وضع اسسها وطورها شيشرون والتي كان لها أثر كبير في ظهور النظريات المختلفة فيما بعد عن وجود قانون اسمى له السيادة على بقية القوانين الأخرى.

obeikandl.com